اللغـة العربية بين تَيَهان أهلها وتحديات الواقع

الحواس مسعودي
جامعة الجزائر 2 - الجزائر

الملخّـص

تواجـه اللغـة العربيـة في الوقـت الراهـن، مثلهـا مثـل لغـات عالميـة كثـيرة، جملـة مـن التحديـات أسـبابها متعـددة ومعقـدة جعلـت بعـض ناطقيهـا يُعـرض عنهـا بحجـة أنهـا أصبحـت غـير قـادرة، وبالتـالي يمكـن الاسـتغناء عنهـا وتعويضهـا بلغـة أجنبيـة، عـلى اعتبـار أن هـذه الأخـيرة هـي لغـة السياسـة والاقتصـاد والطـب والتكنولوجيـا. غـير أن في هـذا الأمـر إجحافـا في حـق لغـة لهـا مـن السـمات الخاصـة والعامـة، مـا يسـمح لهـا بتجـاوز هـذه المرحلـة. سـوف نسـتعرض في بحثنـا جملـة مـن هـذه السـمات والـشروط لعلنـا ندفـع بالنقـاش خطـوات إلى الأمـام.

الكلمات المفاتيح:

اللغة العربية - تحديات - خصائص اللغة العربية - لغة أجنبية.

Résumé

Comme beaucoup de langues internationales, la langue arabe fait face actuellement à des défis considérables. Cela a permis à une partie de ses locuteurs de voir en elle une langue incapable qu'il faut surpasser et remplacer par une langue étrangère, du fait que cette dernière est considérée comme la langue de la politique, de l'économie, de la médecine et de la technologie. Mais en se comportant ainsi, on porte préjudice à une langue qui possède des caractéristiques spéciales lui permettant de surmonter cette étape. Nous passerons en revue ces conditions et ces caractéristiques afin de faire avancer positivement la discussion.

Mots clés:

La langue arabe - défis - les caractéristiques de la langue arabe - langue étrangère.

Abstract

Like many international languages, the Arabic language is currently facing considerable challenges. This has allowed some of its speakers to see it as an incapable language which must be surpassed and replaced by the foreign language, because the latter is Considered as the language of politics, economics, medicine, and technology. But by behaving in such a way, a language which has special characteristics enabling it to overcome this stage is prejudiced. We shall review these conditions and characteristics in order to advance the discussion positively.

Key words:

The Arabic language - challenges - the characteristics of the Arabic language - foreign language.

مقدمة

اللغة هي الصورة التي بها تُعرَّف الأمم وتُنقَل بها الموروثات الثقافية اللامادية للحضارات[1]. وإذا كنا نتكلم اليوم عن العولمة في الاقتصاد والسياسة والتكنولوجيا، فلأن لهذه العولمة لغة تُعدّ مفتاحا لهيمنتها وجسرا لنشر أفكارها وتحقيق أهدافها. ولهذا علينا ألا نستغرب ممن يتساءل منا، ببراءة أو بخبث، عن قدرة العربية على الأداء العلمي، بحثا وتعليما، في هذه الظروف العالمية الاستثنائية. فقد يحتمل هذا التساؤل تفسيرين؛ إما أن طارحه يجهل تاريخ اللغة العربية أو يجهل المعطيات التي تقدمها لنا اليوم مختلف العلوم، خاصة اللسانية منها، وإما أنه مضطر لطرحه لأن "الواقع" فرض عليه هذا التساؤل المتضمن لحكم يتمثل في التشكيك في قدرة اللغة العربية. وقد يكون سبب الطرح هذه الأمور مجتمعة. ومهما يكن فإننا نحاول أن نتعرض بالنقد والتحليل لهذه الأمور لعلنا نجد مخرجا من هذا النفق الذي طال سير الباحثين فيه إلى حد التيهان.

ينبغي الإشارة في البداية إلى أن موضوع «قدرة اللغة» مطروح بشدة في التعليم العالي منذ مدة وخصوصا في التخصصات العلمية[2]، غير أن الحدّة زادت بعد "توقف" مسار التعريب في الجامعات العربية عند تعريب العلوم الاجتماعية والإنسانية، أي في الثمانينيات.

سوف نحاول في هذا البحث معالجة الموضوع من زاوية مغايرة لما قيل من قبل، مركزين على نقاط نراها تسهم إيجابيا في إيجاد الحل أو على الأقل في معرفة الطريق الأقرب إليه، لأن ما يحصل في بعض الندوات من مفاخرة وبكاء لا يخدم اللغة العربية، بل جعلنا نراوح مكاننا منذ عقود من الزمن[3]، نكرر ما قيل ونقترح ما اقترح، ولا نجد سبيلا لتنفيذ ما نقول.

سوف نبني بحثنا على محورين نحاول من خلالهما الخروج بجملة من "المقترحات" في شكل خاتمة. نتناول في المحور الأول بعض "المكاسب" أو "السمات" أو "نقاط القوة"، سواء تلك الكامنة في العربية أم تلك التي اكتسبتها عبر الأزمان

حتى يومنا هذا، والتي جعلت -وتجعل- منها لغة "قادرة" أما المحور الثاني فهو، في بعض أجزائه، على النقيض من الأول بحيث نعرض فيه "نقاط الضعف" أو جملة "الأسباب" التي جعلت البعض يرون، تحت تسميات مختلفة، أنها لغة قاصرة غير قادرة على الأداء العلمي.

1. خصائص اللغة العربية

لا نقصد بالخصائص إعطاء درس في فقه اللغة[4] بل نودّ التّذكير فقط ببعض العناصر التي نرى أنّ ذكرها ضروري لأنّها تعتبر في رأينا "مكاسب" نظرا لكونها عوامل جعلت من العربية لغة من أكبر اللغات في تاريخ البشرية. سوف نحاول أن يكون طرحنا عبارة عن عرض نقدي يسمح لنا بمعرفة ما له أسبقية الإحياء والتفعيل.

- إنّ هذه القدرة على الأداء العلمي، سواء تعلق الأمر باللغة العربية أو بلغات أخرى كثيرة، كامنةٌ فيها وفي محيطها؛ فاللغات الحية قادرة بـ "القوة"، لأنها أداة مطواعة، سماتها الأساسية الخلق والإبداع، مصدر الحياة والحيوية[5]. ولهذا فحينما تتوافر شروط معينة، لأي لغة كانت، فإنّها تصبح "قادرة" على استيعاب العلوم تعليما وتعلّما مثلما حدث مع اللّغتين اليونانية والعربية قديما، ومع اللغة الإنجليزية ولغات أخرى حديثا. فإذا مرت اللغة بمرحلة الاستيعاب هذه ثم خفتت لسبب من الأسباب، فإن هذا لا يخيف لأنها سوف تعود إلى ما كانت عليه شريطة توافر شروط معينة، منها الحفاظ على أساسيات أنظمتها الصوتية والصرفية والتركيبة؛ فاليونانية القديمة مثلا لم تحافظ على هذا، وبالتالي اتسمت بـ "عدم القدرة" لأن يونانية أخرى -ما يسمى بالحديثة- حلّت محلّها في "الاستعمالات" الرّسمية وغيرها. بينما نلاحظ أنّ اللّغة العربية حافظت على هذه الأنظمة لمدّة تزيد على 17 قرنا. وهي بهذا تعتبر من اللّغات النّادرة، إن لم تكن "اللّغة الوحيدة" التي تتميز بهذه الصّفة[6].

- اللّغة العربية مرتبطة ارتباطا وثيقا بحضارة ودين يغطي كلّ الكرة الأرضية، فهي

لغة يتعامل بها مئات الملايين من البشر، سواء أداة تواصل أم لغة دين؛ فهي لغة رسمية في عشرات من الدول[7]، إضافة إلى الدول المنخرطة في منظمة المؤتمر الإسلامي، والدول الأخرى ذات الجالية الإسلامية الكبيرة كالصّين وروسيا والهند، الخ. ويُعدّ تراثها من أغنى أنواع التراث المكتوب في شتى المجالات كما يشهد على ذلك المختصون من غير العرب. علما أنه سبق لهذه اللغة أن كانت -ومازالت- وسيلة لتعلم العلوم وتعليمها.

- "نجاح" تعريب العلوم الاجتماعية والإنسانية في كلّ الجامعات العربية بما فيها دول المغرب العربي التي عانت من استعمار ثقافي رهيب[8]. فقد تخرج الآلاف من هذه الجامعات مثرين اللّغة العربية بالمصطلحات، تأليفا وترجمة، وهم يُعتبَرون في الحقيقة رصيدا مهمّا يخدم تفعيل قدرة هذه اللّغة على الأداء العلمي. يضاف إلى هذا وجود محاولات ناجحة منذ بداية القرن الماضي في تعريب العلوم في التّعليم العالي، مثل تدريس الطّب باللّغة العربية بجامعة دمشق منذ 1919.

- كثرة المجامع اللّغوية والتنوع في مهامها؛ فبالإضافة إلى مهامها التقليدية المتمثلة في صناعة المعاجم المختلفة وإثراء اللغة بالألفاظ والمصطلحات والأساليب، كما هو حال المجامع عموما، فإنّها أصبحت تهتمّ بالتّخطيط اللّغوي وبمتطلبات الحياة المعاصرة[9]. لقد أصبح هناك مجمع في كلّ بلد عربي؛ إذ يمكن استغلال هذا التنوّع إيجابيا، وهو ما بدأ التّفكير فيه منذ إنشاء اتحاد المجامع اللغوية سنة 1970. يضاف إلى هذا وجود المراكز والمؤسّسات العربية في مختلف التخصّصات، والتي تسهم أيضا بدورها في التّرجمة والتّأليف خدمة للتّعريب.

- وجود مكتب لتنسيق التّعريب (الرباط)، وهو هيئة عربية رسمية منذ 1961، وجهوده كثيرة لا يمكن أن نحصيها في هذا المقام، سواء في ما يعقده من ندوات أو ما يصدره من معاجم ومؤلّفات ودراسات.

- وجود المركز العربي للتّعريب والتّرجمة والتّأليف والنّشر بدمشق منذ 1990[10]، وهو من المؤسسات الرّسمية للجامعة العربية. وقد قام هذا المركز بترجمة

العشرات من الكتب وله مجلة يصدرها ونشاط مكثف يتمثل في الندوات العلمية التي يقوم بها في الأقطار العربية المختلفة.

- وجود المعهد العربي للتّرجمة بالجزائر منذ سنة 2004، وهو تابع أيضا للجامعة العربية. وله عدة نشاطات علمية[11].

- كثرة المؤتمرات الخاصة بالتّعريب، سواء ما كان ذا طابع علمي بحت أو علمي سياسي تربوي، وذلك بمعدل مؤتمرين أو ثلاث مؤتمرات في كلّ عشر سنوات منذ 1966[12]. فقد نوقشت فيها آراء قيّمة كثيرة واقتراحات عملية بنّاءة يمكن عدّها مادّة ورصيدا للأعمال الجادة والمخلصة.

- اللّغة العربية موجودة حاليا في الشّبكة العالمية وهناك قنوات فضائية كثيرة مرئية ومسموعة (؟؟). ويجدر التنويه بالقنوات الإخبارية الدولية الكبرى، على الرغم من توجّهاتها السّياسية، مثل «الجزيرة» و «العربية» والـ "بي بي سي" و"فرانس 24"، فهي تستعمل عربية معاصرة سليمة وجذابة.

- أصبحت اللغة العربية من ضمن اللّغات الرّسمية المعتمدة في اليونسكو والأمم المتّحدة.

إنّ عرض هذه العوامل الإيجابية (المكاسب) كفيل بأن يكون باعثا للثّقة في النّفس، ويجعلنا نطرح إشكالية "القدرة" من زاوية التّفعيل لا من زاوية الوجود، ولكن من دون أن نفرط في التفاؤل المبني على تجاهل عناصر مهمّة من الواقع المحزّن لهذه اللّغة العالمية[13].

2. واقع اللغة العربية (التحدّيات)

إنّ الذين يعتقدون أنّ اللّغة العربية غير قادرة على الأداء العلمي يطرحون عدّة أسباب، منها ما هو ذاتي (نفسي واجتماعي)، ومنها ما هو موضوعي (مبني على وقائع وحقائق وحجج يصعب دحضها). نحاول عرض هذه الأسباب عرضا موضوعيا ومركزا، قصد مراجعة النفس في أمور لم تُعطَ الحق الكافي من الدراسة والتحليل:

- عـدم الاسـتفادة مـن تجـارب أسـلافنا ومـن المناهـج التـي اعتمدوهـا في الاطـلاع عـلى ثقافـات الأمـم الأخـرى وعلومهـا؛ إذ لم تُعَـرّب العلـوم قديمـا إلا بعـد اعتـماد **سياسـة الترجمـة أولا والتأليـف ثانيـا**؛ لأنـه لـن يكـون هنـاك تأليـف مبـدع إلا بعـد الاطـلاع عـلى مـا هـو حاصـل في مختلـف العلـوم. وهـذا مـا قـام بـه العبّاسـيون مثلا مـع آل بختيشـوع؛ فقـد بـدأوا بترجمـة كتـب الطـب، وبعـد أن وصلـوا حـدّا مـن التمكّـن مـن الصّنعـة، نظريـة وتطبيقـا، توجّهـوا إلى التّأليـف والإبـداع. فكلّـما كانـت التّرجمـة مزدهـرة كلّـما ازدادت حظـوظ التّأليـف والإبـداع باللّغـة المترجـم إليهـا.

جـاء في وثيقـة اليونسـكو "مـن مجتمـع المعلومـات إلى مجتمعـات المعرفـة" أنّ التّفاهـم المتبـادل لا يـأتي هكـذا، وإنّمـا يعتمـد، كـما يـرى الفيلسـوف بـول ريكـور، عـلى "معجـزة التّرجمـة"، "لأنّ التّرجمـة تتيـح اتّفاقـا أو تفاهـما حيـث كان يسـود الصّخـب والغمـوض. إلاّ أنّ التّرجمـة لا تعنـي إزالـة التَنـوّع، لأنهـا لا تنتـج هويـة بـل معـادلات لهـا فقـط، فالتّرجمـة هـي الوسـيط بامتيـاز بـين التنـوع الثقـافي وعالميـة المعرفـة. (...) فعـلى مجتمعـات المعرفـة، لاتقـاء محاذيـر العالميـة الكاذبـة والنّسـبية، وهـما مصـدران لعـدم التّفاهـم والنّـزاع، أن تكـون مجتمعـات ترجمـة"[14].

إنّنـا نلاحـظ أن ترجماتنـا قليلـة بـل يصـحّ وصفهـا بـ "المنعدمـة" إذا قارنـا العـالم العـربي كلّـه بدولـة واحـدة "صغـيرة" مـن أوروبـا (الشرقيـة أو الغربيـة) أو مـن آسـيا. فكلّـما قلـت ترجماتنـا قـلّ اعتمادنـا عـلى لغتنـا وازداد تمسّـكنا باللّغـات الأجنبيـة، لأنّنـا نصبـح آنـذاك لا نـرى إلا مـن خـلال تلـك اللّغـات، وبعـد ذلـك لا نفكّـر إلاّ بهـا وفي الأخـير قـد نتملـك ثقافـة أهلهـا ونهجـر ثقافتنـا. إنّ الاعتـماد عـلى مخطّطـات قديمـة، قـد يكـون لهـا مـبرّرات حـين وضعهـا، وإن غيـاب إسـتراتيجية مسـتقبلية واضحـة زاد مـن تأزيـم العلاقـة بـين العربيـة واللّغـات الأجنبيـة[15].

- لايـزال العـالم العـربي يعـاني مـن تفـشّي الأميّـة ومـن عـدم اسـتفادة كلّ الأطفـال مـن تعليـم ابتـدائي إجبـاري ومجـاني؛ فقـد جـاء في وثيقـة اليونسـكو السـالفة الذّكـر (ص71) "لم تكـن المجموعـة الدوليّـة، في نهايـة 2004، وهـي في طريقهـا لتحقيـق أهـداف التّعليـم

للجميع بحسب آفاق 2015، إلا واحدا وأربعين (41) بلدا فقط (أي ما ينوف على ثلثي سكان العالم) حققت الأهداف (5، 4، 2)، ولم يحقق أيّ بلد عربي (هذه الأهداف)" [16].

- عدم وضوح الرؤية عموما في الفلسفة التي يُبنى عليها التّعريب وأهدافه بالنّسبة للكثير من المتخصّصين ومن أصحاب القرار في العالم العربي. فـ "تعريب التّعليم دائما ما يُقدَّم كمطلب ثقافي خاضع للهوى وليس شرطًا لتكييف المعارف اجتماعيا، ولهذا بقي مدّة طويلة مجرّد شعار سياسي من دون آثار عملية حقيقية. لقد أصبح عاملَ فرقة سياسية عوض أن يكون الأساس لهوية في طور البناء، ومع الزمن تحوّل إلى "لغة خشب" تفتقر إلى البعد العلمي والثقافي الحقيقي، بل أصبح مصدر افتقار الجامعة بدل أن يكون رافدا للتقنيات والمعارف المعاصرة" [17].

وربما هذا ما نلاحظه في "الحيادية" التي التزمها العرب ازاء التجربة السورية في تعريب الطبّ. فلا هم عملوا مثلها ولا شجعوها عمليا على أساس أنها تجربة يمكن تعميمها في كل الجامعات العربية. فقد لاحظنا أن بقية الجامعات أبقت على اللّغة الأجنبية في تدريس العلوم الطبيّة، علما أنّ الكثير من الأساتذة الأطباء لا يعرفون الشيء الكثير -وربما حتى القليل- عن هذه التجربة، لأنها تعرض في بعض الأحيان بطريقة عاطفية سياسية لا تخدم الجانبين، العلمي والعملي. وهذا الأمر لا شك قد أثر نسبيا في بعض السّوريين الذين يبذلون جهودا جبّارة في التّرجمة والتّأليف والتّدريس ولكنّهم لا يجدون صدى لتجربتهم الرّائدة إلاّ كلاما عاطفيا لا يسمن ولا يغني من جوع. بل إنّنا لاحظنا أنّ هناك تراجعا في الكثير من مكاسب التّعريب، القولية منها والعملية. فقد كان من المفترض أن يعرّب الطبّ البشري وطبّ الأسنان في العراق والأردن في 1981/1980. وكان مقرّرا توقيف تدريس مناهج الطبّ بغير اللغة العربية مع عام 1997، كما نصّ القرار الصّادر عن المؤتمر العشرين لاتّحاد الأطباء العرب في جلسته الختامية بالقاهرة في 1988/1/22. فأين نحن من هذه القرارات؟ ترى سُرى سبع العيش (ترأست جمعية تعريب العلوم

الطبيّة الأردنية من 1994 إلى 2008) عضو مجمع اللّغة العربية الأردني[18]: "لم يحدث يوماً أن استدعت نقابة الأطباء الهيئة العامة للاجتماع بشكل طارئ للبحث في مشكلة هجر اللّغة العربية، أو تأزم استعمالها بين الأطباء الذين يتخرجون سنوياً بأعداد كبيرة في كليات الطبّ الأردنية والأجنبية، وهم مغربون عن اللّغة العربية لا يألفون التحدّث طبيّاً وعلميّاً بها".

- إن الوضع الذي يعيشه الطّالب القادم من التّعليم الثانوي، الرّاغب في التسجيل في الفروع العلمية في الجامعة مأساوي، سواء في الجزائر أو في الكثير من الجامعات العربية، ولا نرى المختصّين قد أولوه الأهمية والرعاية اللاّزمتين. فالطّالب يصل الجامعة وهو "معرّب" ويجد التخصّصات العلميّة باللّغة الأجنبية، فلا عُرّبت الفروع العلمية في الجامعة (وهذا صعب طبعا حاليا)، ولا دُرّست له باللّغة الأجنبية في المراحل التي تسبق الجامعة (وهذا يطرح أيضا مشاكل من نوع آخر)، ولا تمّ تحسين تكوينه في اللّغات الأجنبية حتى يواجه العلوم بقدرات نفسية وعلمية قوية. فإذا دخل الطّالب هذه التخصّصات العلمية وبذل جهودا إضافية في إتقان اللغة الأجنبية وأصبح مهندسا أو طبيبا، نجده بالمقابل قد نسي لغته أو كاد. وبالتالي نجد أنفسنا ندور في حلقة مفرغة. فهل قمنا بإحصاء هؤلاء الطلبة "العباقرة" في الرياضيات والفيزياء والعلوم الطّبيعية الذين غيّروا الاختصاص بسبب فشلهم (ضعفهم) في اللّغة الأجنبية، فيتوجّهون بعدها إلى كليّات العلوم الإنسانية والاجتماعية محبطين ومسجّلين في أيّ قسم يفتح لهم أبوابه من دون رغبة ولا حافز؟. فقد سجّلنا في جامعاتنا -والحال نفسه في الكثير من الدول العربية- نسبا عالية من "هجرة هذه الأدمغة الصّغيرة"، من جامعات العلوم والتكنولوجيا التي تدرس فيها التخصّصات باللّغة الفرنسية، إلى كليات اللّغات والآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية بسبب اللّغة الأجنبية. ولو عدنا إلى معدلات هؤلاء الطّلاب في المرحلة الثانوية وفي البكالوريا لوجدناها تعكس مستواهم الجيّد في المواد العلمية. كما يتسبب هؤلاء في مشاكل داخل الجامعات المحوّلين إليها لأنهم يأتون محبطين

متشائمين حائرين، فاقدين الثقة في أنفسهم وفي لغتهم. وقد عبّر مازن المبارك عن هذا الأمر أحسن تعبير بقوله: "وإنه لتناقض عجيب بل مريب أن نلقّن طلابنا شرف لغتنا وكونها دعامة قوميتهم وأن نتحدّث لهم عن مزاياها وفضائلها ثم نعزلهم عنها ونعزلها عنهم فلا نعلّمهم بها ولا نعلّمهم إياها، فنبرهن لهم عمليا أنها لغة قاصرة عاجزة لا تصلح للعلم ولا للتّعليم" [19].

- قلّة التّنسيق أو غيابه في كثير من الأحيان، سواء بين المجامع اللّغوية أو الهيآت أو المؤسسات أو الجامعات، علما أن اللّقاءات والنّدوات ليست قليلة وأن الوسائل التقنية وغيرها متوفّرة. وهذا يعود في رأينا إلى غياب المنهجية في العمل والدّعم المادي والمعنوي. ويكفي أن نلقي نظرة على وضع المصطلح العربي لنعرف مدى ما يضيع من وقت، فرغم كثرته وتعدده فهو يختلف من بلد لآخر ومن جامعة لأخرى داخل البلد الواحد، وبناء على هذه الوضعية تكون "الغلبة" في نهاية المطاف للمصطلح الأجنبي لأنه "يصبح" الأسهل في الاستعمال والوفرة. وكما يقول محمد المنجي الصيادي: "(...) ما الفائدة من تكديس مجاميع المصطلحات والمعاجم الفنية الضخمة لتبقى حبيسة الرّفوف دون استعمال، ونظلّ نجادل في أيّها الأصلح والأفصح -الزيت أم البترول أم النفط- لا أدري هل سيؤدي هذا النّقاش إلى أية نتيجة بينما نستمر في التعليم بالإنجليزية والفرنسية"[20]. يضاف إلى هذا عدم العمل بتوصيات المجامع والمراكز، فليس هناك هيآت متابعة وإلزام. ويكفي القول -دون تعليق- إن المجمع المصري وحده يكون قد وضع أكثر من 200 ألف مصطلح في مختلف التخصّصات وما يعادل 14 معجما[21]. ويذكر الحمزاوي أن مكتب تنسيق التّعريب وَحَّد من 1973 إلى 2002 ما قدره 132.904 مصطلحًا [22]. ويذكر تجربته الخاصة، يقول: "درست ثلاثة مؤلفات في علم النبات لأحمد عيسى (3000 مصطلح) وفي الألفاظ الزراعية لمصطفى الشهابي (9500 مصطلح)، وفي معجم الحيوان لأمين المعلوف (4000 مصطلح) للتحقّق ممّا أخذته من معجم المخصّص لابن سيدة الأندلسي، فلاحظت أن النتيجة كانت محبطة. واقتنعت أن هذه المواقف تنسب

إلى ما أسميه بالخطاب الغنائي الذي لا يسمن ولا يغني من جوع. فالتّراث ما زال مفتّتاً، مبعثراً يأكله الغبار، حتى يرحمه ربك، وتتكوّن له مؤسّسة علمية موضوعية تجمع شتاته وتصنّفه وتصفه وتضع له مشاريع جدية لتستخرج كنوزه الماضية، وتزوّدنا بما زال صالحاً منه لمواصلة المشوار مع العلوم الحديثة" [23]. إنّ المصطلحات كثيرة على مستوى الوضع (النّظرى)، ولكنّها بعيدة عن التّطبيق. وهي أيضا كثيرة على مستوى مخزون اللّغة، ولكنّا "لا نستعمل اليوم في حياتنا الثقافيّة والتعليميّة والإعلاميّة والتخاطبيّة مع الأسف، إلاّ ما يقارب العشر من ألفاظها، وما يقارب تسعة أعشار منها مخزون في المعاجم، لَقى في بطون الدواوين والمدوّنات، ينتظر من يعرفه ويعرّفه، ويتعلّمه فيوظّفه في مُرتفَقات الحياة بشقّيها اليوميّ، والعلميِّ المخبَريّ معا من أجل كلّ ذلك نجدُنا عاجزين عن أن نسمّيَ ما يستجدّ من مفاهيم المعرفة، ومصطلحات العلوم؛ لأنّ ذلك يستوجب منّا الرّجوعَ إلى مخزونات هذه اللّغة لنستخرجَ منها ما نحتاج إليه في استعمالاتنا المعاصرة" [24]. علما أنه على الرغم من الجهود الجبّارة المبذولة، كما سبقت الإشارة، إلاّ أنّ عملها لازالت تشوبه الكثير من النّقائص كالاعتباطية في العمل والعمل الفردي وعدم الشّمولية [25]. يضاف إلى هذا السّمة الجافّة والبئيسة التي تميز مواقع هذه المجامع؛ فقد كنّا نحاول دخول هذه المواقع (السوري والمصري والعراقي والأردني) منذ سنوات لنرى مدى اعتمادهم على التّكنولوجيا الحديثة في التّواصل وعرض نشاطهم، وقد كانت النتيجة محبطة جدا (أبواب لا تشتغل، صعوبة التحميل أو انعدامه، صعوبة توجيه المتصفّح، غياب تواريخ المنشورات، الخ). وربما نجد في شهادة أمين عام المجمع السّوري ما يؤكّد قولنا: "(...) إلاّ أنّ بنية المجمع وأساليب العمل فيه لم تتطوّر بالقدر الذي يمكّنه من القيام بهذه المهمّة في عصر العولمة. فالعمل العلميّ فيه مهما اختلفت صوره وأساليبه يقوم على ما ينجزه أعضاء المجمع فرادى من الأعمال، وحصيلة عمل كلٍّ منهم فيه تتناسب وسنوات العطاء من العمر، سنوات الكهولة وما حولها التي يقضيها العضو في المجمع. وقد لوحظ في مجمع دمشق أنّ

العمر الوسطي لأعضاء المجمع لدى انتخابهم ارتفع من قرابة الخامسة والثّلاثين في العقد الأول من عمر المجمع (1919-1930) إلى السّبعين اليوم، بعيدًا عن السّنوات المفعمة بالنّشاط والحيويّة منه، وأنّ العمر الوسطي لأعضاء المجمع اليوم أيضًا قد جاوز الخامسة والسّبعين! فكيف يتسنّى لهذا المجمع متابعة تنفيذ استراتيجيّة اللُّغة العربيّة في القطر والتّنسيق مع المجامع العربيّة لتنفيذ سياسةٍ لغويّةٍ عربيّةٍ واحدة؟ ولا تختلف الصّورة في المجامع الأخرى كثيرًا عنها في مجمع دمشق" [26].

- اعتماد العاطفة في الدفاع عن العربية، فالكتب التي تتكلّم عن العربية قديما وعن خصائصها الصّوتية والصّرفية كثيرة جدا يكاد لا يحصى لها عدد. إنّ نية مؤلفيها لا شكّ حسنة؛ فبعضها يهمّ المختصّين في تاريخ اللّغات وتتبّع التّغيرات التي تحدث فيها ككتب فقه اللّغة[27]. ولكنّ البعض الآخر يدور في أحد الفلكين، إمّا ممجِّد للتراث وإما باك عليه، بأسلوب يفتقد إلى الموضوعية وإلى تقديم الاقتراحات العملية[28].

- لقد اعتبر التّعامل مع اللّغات الأجنبية دائما حجر عثرة أمام العربية، إذ اختلطت المحاسن بالمساوئ، وأصبحت الازدواجية غير متكافئة، فهي دوما -في نهاية المطاف- في صالح اللّغة الأجنبية (الإنجليزية في المشرق والفرنسية في المغرب) على أساس أنّ هذه اللّغة الأجنبية قادرة، وأنّ العربية -ضمنيا- غير قادرة. "إنّ تكميم الانسان للغته من دون نقاش لصالح لغة أجنبية، الإنجليزية أو غيرها، يخفي نوعا من قلّة صراحة: لا يمكن أن يكون الاختيار المنفعي للّغة المشتركة حياديا، لا سياسيا ولا اقتصاديا" [29].

ومن التأثيرات السّلبية للعولمة في بلداننا هو لجوء أقسام اللّغات الأجنبية، في الكثير من الجامعات العربية، إلى "التخلّص" من المقرّرات التي تُدَرَّس بالعربية، سواء كانت عامّة أو تخصّ العربية كلغة (نحو وصرف)، بحجة كثرة المقررات (المواد). وقد مسّ هذا الحذف والتّقليص أقسام اللّغة العربية نفسها[30]. والأخطر من هذا أنّ أقسام التّرجمة، في بعض الجامعات، ليست مستقلّة بل تابعة لأقسام

اللّغات "الأجنبية" المهيمنة، وليس لأقسام اللّغة العربية، بل أحيانا لا تتعامل معها. وقد لاحظنا في جامعات عربية كثيرة، عكس ما يحدث في الجامعات الأوروبية، أنّ أقسام اللّغات الأجنبية تَعتمِد لغةً أجنبيةً أخرى كلغة ثانية وليس اللغة العربية، أي لا أثر للعربية وكأنّنا في دول أخرى. فهل يكمن الخطر في سوء استخدام اللّغة الأجنبية أم في وضعها في غير مكانها، أم في عدم قدرة العربية؟ وما موقع كلّ هذا من مستوى التعليم؟ أم أن هناك عوامل أخرى ينبغي أخذها في الحسبان؟ اختلفت الآراء وتعدّدت زوايا النّظر إلى الموضوع[31].

إنّ السّياسة اللّغوية في البلدان العربية واقعة تحت تأثير العولمة بأبعادها المختلفة (السياسية والاقتصادية واللّغوية)، ولذلك فهي تحاول اللّحاق بالركب من دون تسطير أهداف واضحة المعالم؛ فاللّغات الأجنبية تنحصر في الإنجليزية في المشرق، والفرنسية في المغرب العربي[32]، إضافة إلى كون هذه اللّغات "أجنبية" في التّسمية فقط، ولكنّها في حقيقة الأمر "أكثر من رسمية" بصفتها لغة المسؤوليات والتّسيير والمال والأعمال[33]. وحتى لا نبالغ في التّشاؤم يجب أن نعلم أن الكثير من اللغات المعروفة، مثل الإسبانية والفرنسية والألمانية والإيطالية، الخ، تعاني هي أيضا من المشكل نفسه، فهي تواجه كلها منافسة قوية من اللغة الإنجليزية [34].

وتمثل الإنجليزية حاليا الشق اللغوي للعولمة، ولذلك نلاحظ انتشارا سريعا لها أدّى إلى ظهور ردود فعل قوية إزاءها. ويكفي أن نلقي نظرة على آراء بعض المثقفين الفرنسيين لندرك حجم المشكل؛ فهذا دومينيك فولتون[35] يؤكد أن "أغلبية نخبنا العلمية والسياسية والتكنوقراطية والاقتصادية والفنية والإعلامية تظنّ أنّ التكلّم بلغة "السيّد" يعتبر رمزا للحداثة ونوعا من الذكاء في التكيّف مع العصر. **إن خيانة المثقّفين** بالمقابل هي حينما نتخلى عن الفرنسية ونكتفي بهذا الخليط الأنجلوفوني، الذي يؤدي إلى معانٍ غامضة نظرا للفقر السيميولوجي الذي يميز التّخاطب. إنّنا لا نجد التّعاطف مع الفرنسية إلاّ حينما نخرج من هذا الوسط وندخل المجتمع المدني والطّبقات الوسطى والشعبية"[36]. ويرى ألبير صالون (نائب

رئيس مؤسس لجمعية "مستقبل اللّغة الفرنسية الشّهيرة ALF"، وهو يتكلّم عن سيطرة اللّغة الإنجليزية: "إنّ ما يحدث في التّعليم العالي (الفرنسي) يكمّل ما قلناه سابقا من أنّ "رجال العلم" الفرنسيين ينشرون هم أيضا كتبهم ومقالاتهم وكذا كتبهم التّعليمية باللّغة الإنجليزية. إنّ عدد المحاضرات الذي يعطى في هذه اللّغة في مؤسّسات التّعليم العالي في تزايد مستمر"[37]. ويرى برنار كاسان "أنّ ترقية الإنجليزية إلى مصاف لغة **مشتركة** وليس أجنبية يعدّ دعامة أساسية للإستراتيجية العالمية لعولمة وأمركة المركب السياسي - التواصلي للولايات المتحدة. إنّ هذا الهجوم مدعّم بنسبة كبيرة من طرف الصّحافة الفرنسية ومن طرف عدد لا بأس به من الأنتليجنتسيا"[38].

ولهذا نلاحظ أن هناك حركة غير عادية في فرنسا لإعادة الاعتبار للغتهم -رغم وضعها الجيّد مقارنة بالعربية- حتى تبقى قادرة على الأداء العلمي، وذلك بالتشجيع المادّي وإصدار القوانين لحمايتها[39]. كما أن جزءا من الصّراع الدّائر بينها وبين الإنجليزية هو صراع ذو أبعاد سياسية وليس دائما لغويا[40]. أما "صراعنا" نحن مع اللغات الأجنبية فهو أكبر بكثير من الأبعاد التعليمية التقنية، رغم أهميتها (المصطلح، التأليف، الترجمة...)[41]. إنه يتعلق أساسا بالسّيادة والهوية.

- إنّ عدم وضوح الرؤية والمنهج لا يتعلق باللغات الأجنبية فقط، بل يشمل أيضا تعاملنا مع اللّهجات واللّغات المحلية. إنّنا ننظر إليها أحيانا على أنّها **روافد** للعربيّة وأحيانا **ضرائر** لها تشكل خطرا عليها. وإنّ ما يكتب هنا وهناك في رأينا، بعيد عن الموضوعية لأنّه يعتمد أسلوب التجريح والإقصاء. ولا يمكن في نهاية المطاف إلاّ أن تنعكس هذه الأمور سلبا على اللّغة العربية وتقف حاجزا أمام قدرتها على الاستيعاب والإبداع. إنّنا لم نستفد من ثراء لهجاتنا ولغاتنا المحلية قصد استغلالها لتكون معينا وسندا لوضع سياسة لغوية رشيدة وليس لتكون عائقا أمامها[42].

- إنّ وضع اللّهجات في العالم العربي عموما مقلق بسبب غياب الإستراتيجيات التي تنظر في استعمالها وطريقة تطوّرها؛ لأنّه يبدو أنّها "تعجنت" أكثر بسبب التّداخل

الفوضوي بينها وبين الفصحى واللّغات الأجنبية، ونلاحظ دخول المعجم العربي "الفصيح والعامي" الكثير من الألفاظ الأجنبية، وأصبح الإبداع والتّعريب من مهام "العوام" بسبب "غياب" أو "تغييب" العلماء والمتخصّصين، وكَثُر دعاة إحلال اللهجات محل الفصحى، واكتسحت العامية ميداني التّعليم والإعلام[43].

- غياب سياسة عربية لغوية موحّدة تعالج وضع العربية في ظلّ ما يُعرف بالعولمة. فالعالم منقسم، كما رأينا سابقا، والعرب كذلك؛ فهم، حسب هـ. جانهاني، منقسمون "إلى ثلاث فئات؛ فئة اختارت صف الغرب (التغريبيون) ورفضت التنوّع الثّقافي، والثانية تنادي بالتشبّث بالقيم التّراثية (التّراثيون/الرّجعيون)، أما الفئة الثالثة فهي توافقية، فهي تنادي بالدّمج بين العولمة والموروث الثقافي"[44]. وإنّه يصعب في هذه الحالة الوصول إلى إجماع يخدم اللّغة العربية بسبب تطرّف كلّ فئة تطرّفا ليس دائما مبنيا على مقاييس موضوعية. والحقيقة أن تأثيرات العولمة السلبية واضحة جدّا في ما يطرأ الآن على مجتمعاتنا في كل المجالات، وأخطرها طبعا ما تعلق بثوابت الأمم، خصوصا اللّغة والدّين. فـ "التدويل" مسّ الكثير من المقرّرات التخصّصية (ما تعلّق بالتّجارة والإدارة والقانون وبرامج اللّغات الأجنبية)، وحتى نظام التّعليم العالي؛ فدول المغرب العربي تطبّق الآن ما يعرف بنظام LMD (ليسانس-ماستر-دكتوراه)، وهو النظام الذي تعتمده أوروبا منذ نهاية التسعينيات، علما أنّ تطبيقه في هذه الدّول العربية لازال محلّ نقد وتشكيك، وما ظهر من نتائج إلى حدّ السّاعة يُعدّ نسبيّا يصعب تقييمه تقييما علميّا في الوقت الراهن[45].

- هناك مجموعة أخرى من العوائق تحول دون هذه القدرة، منها ما هو نفسي يتمثل في حالة الإحباط التي يعيشها البعض بسبب الحالة الاجتماعية المزرية والخيبات السياسة والاقتصادية، وبسبب هذا التطوّر التكنولوجي الغربي السّريع الذي لم نتحكّم فيه على الرّغم من التّاريخ والجغرافيا والمال. وقد أدّى هذا إلى الاعتقاد بأنّ العربية غير صالحة لأنها غير قادرة، وأنّه ينبغي علينا إذا أردنا الالتحاق بالأمم المتقدّمة أخذ العلم مباشرة باللّغة الأجنبية ربحا للوقت. يقول

كمال يوسف الحاج: "ابتلينا بإهمالنا للعربية، بغرورنا أن سواها أعمق وأبهى وأفتى وأقرب إلى مقومات الحضارة الحديثة، أسمعناها هذه المعزوفات فابتلينا بعقدة التكابر حيال لساننا، وبعقدة التصّاغر حيال لسانهم، والنتيجة صغّرنا في أنفسنا دون أن نكبّر في أنفس الحاكمين حتى صرنا لا ننحني لبيان عربي ولا لبلاغة عربية[46]". وعلى الرّغم من الإحصائيات التفاؤلية التي يستعملها الكثير من المتخصّصين في اللّسانيات الاجتماعية[47]، إلاّ أنّ الواقع يكذبها.

ومنها ما هو اجتماعي يعود إلى القهر والاحتلال الأجنبي وتأثيراته بحيث أصبح اللّسان الدّخيل عنوان التقدّم والعلم والأناقة ويصبح اللّسان الأصلي سمة كلّ ما هو محلي متخلف[48]. ومنها ما هو أكثر تعقيدا كالحالة التي نعيشها اليوم وهي أيضا، إضافة إلى كونها ذات طابع نفسي اجتماعي، ذات طابع سياسي اقتصادي يعود إلى ما يتميز به العالم العربي من تشتت وفتن وحروب حيث تداخلت فيه مجموعة من المفاهيم، تهمّنا في أبعادها ودلالاتها اللّغوية والاصطلاحية كالدّيمقراطية والانفتاح والعولمة والبنك الدولي واقتصاد السّوق والتّقنيات الحديثة للإعلام والاتصال. وعموما مادام رجال السّياسة والطّبقات المثقفة والرّاقية وأهل المال ووسائل الإعلام وجزء كبير من الناس العاديين غير مهتمين بالعربية، لأسباب مختلفة، فهذا لا يبشّر بخير على الأقل في المدى القريب.

- عدم وضوح المنهج الذي ينبغي اتباعه في التعامل مع وسائل الإعلام، لأنّه لا يخفى ما للإعلام من دور خطير في الرّفع من اللّغة أو الحطّ منها. إنّنا نلاحظ أنّه ليس هناك خطّة مشتركة بين الإعلام وبين الهيئات أو المؤسّسات التي تعنى بالتّعريب وكأنّه لا علاقة له بما يوضع من مصطلحات وما يقترح من آليات. فهو يتعامل مع اللغة بالطريقة التي تفرضها عليه الجوانب التجارية والسياسية. فقد أصبح الإعلام، خاصة غير الرسمي، أقوى من أن يُتحكم فيه؛ يستعمل اللّغة التي شاء بالمستوى الذي شاء وبالآليات والمقاصد التي يرغب. فتنوعه جعله غير خاضع لسلطة "معينة" "تردعه" (لغويا) مثلما يحدث في أوروبا. كما أنّه يطغى

عـلى إعلامنـا الطّابعـان السّـياسي والفنّـي، وكلاهـما غـير موظّـف لخدمـة اللّغـة العربيـة. ويكفـي إحصـاء الحصـص الثقافـة «الفاعلـة» و«الخادمـة» للعربيـة ومقارنتهـا بمـا يقـدم في القنـوات الأجنبيـة لنـدرك مـدى الهـوة التـي تفصلنـا، وفي الوقـت نفسـه مـا ينتظرنـا مـن عمـل شـاق وطويـل.

3. الـمقترحات

بعـد عـرض أهـم السّـمات التـي تتميّـز بهـا اللّغـة العربيـة مـن حيـث كونهـا صالحـة لأن تُفَعَّـل مـن جديـد أو يعـاد اسـتغلالها بطريقـة تعيـد لها حيويتهـا وأداءهـا في مختلف المجـالات، وبعـد عرضنـا أيضـا جملـة العوائـق التـي تقـف في وجـه كلّ محاولـة جـادّة في التّعريـب عمومـا وفي اسـتعمال العربيـة في التخصصـات العلميـة خصوصـا، سـنحاول تقديـم جملـة مـن الاقتراحـات نراهـا، بنـاء عـلى مـا سـبق، مفاتيـح حلـول لتثبيـت مـا تـم تعريبـه وتحسـينه وللنظـر في أحسـن طرائـق تعريـب العلـوم في التعليـم العـالي:

-العمـل عـلى تطبيـق المفاهيـم المعتمـدة في فلسـفة التعليـم العـالي وذلـك بالاسـتفادة مـمّا تقدمـه المنظّـمات الدّوليـة والـدول الكـبرى صاحبـة المنظومـات التّربويـة النّاجحـة؛ فقـد جـاء في وثيقـة اليونسـكو "مـن مجتمـع المعلومـات إلى مجتمعـات المعرفـة" (ص98) "لا يقـوم التّعليـم العـالي بـدوره عندمـا يهمـل وظيفتـه بالمحافظـة والتّوعيـة، وعندمـا لا يقـوم بتحليـل المسـائل للمجتمـع"، وأنّـه عليـه "الذّهـاب للقـاء المسـتويات الأخـرى لنظـام التّعليـم: إنّ التّكويـن الأوّلي للمعلّمـين وللعديـد مـن العاملـين الاجتماعيـين يقـع عـلى عاتـق التّعليـم العـالي، ماعـدا بعـض الاسـتثناءات، فيجـب أن يكـون تحليـل مسـتويات النّظـام التّربـوي وتقويمهـا مـن بـين أولويـات البحـث الجامعـي (...) يسـهم التّعليـم العـالي في بنـاء الثّقافـة بمـا فيهـا مـن عالميـة (...)".

- العمـل عـلى نـشر **ثقافـة التّعريـب** بـين كلّ شرائـح المجتمـع، مـن أكـبر مختـص في الجامعـة إلى أبسـط ناطـق بالعربيـة، لأنّـه إذا لم يكـن هنـاك تكامـل في القناعـة بـأن العربيـة قـادرة، وإذا لم نربـط قضيـة التعريـب بالتاريـخ وبالشّـخصية وبالهويّـة وبالتحـرّر الاقتصـادي والسّـياسي وبالازدهـار والرقـي، فلـن تكـون النتائـج إيجابيـة؛ "فاللّغـات كلّهـا

تصبح مهدّدة حينما يقتنع ناطقوها أنفسهم بأنه لا فائدة من ترقيتها" [49].

سوف تؤدي هذه الثقافة إلى عدم الاستهانة بالكتاب العربي، وعدم احتقار الشخص الذي يتكلّم بالعربية، وعدم الاستهزاء بالطبيب أو المهندس الذي يحاول أن يشرح محاضرته أو نظريته بالعربية، وعدم السّخرية من المصطلحات التي نضعها. وباختصار فحينما نتكلّم اللّغة العربية أو نستمع لما يقال بها من دون خجل، نستطيع القول إنّ هناك ثقافة تعريب سوف تساعدنا لا محالة على تفعيل قدرة هذه اللّغة.

ومن الثقافة عدم احتقار اللّغات المحليّة لأنّها رافدة للّغة، ولأنّه لولا النّاطقون بها في كثير من الأماكن لكان للعربية فيها شأن آخر. فكلّ تصرّف يخرج عن إطار احترام هذه اللّغات وعن عدم المساهمة في إعطائها حقّها من الوجود والدّراسة والاهتمام يعود على العربية بالسّلب والخسران ويزيد من أعدائها ومن مناصري وجود اللّغات الأجنبية في كلّ مستويات التّعليم وفي كل المجالات[50].

ومن الثقافة أيضا وضع سياسة علمية واضحة للّغات الأجنبية. فالواقع الذي ينبغي التّعامل معه بحكمة وموضوعية هو أنّ تخصّصاتنا العلمية تستعمل اللّغات الأجنبية، وأنّنا لسنا من مبدعي هذه العلوم في الوقت الرّاهن وأن تصوّراتنا حول اللّغات عموما غير واضحة بالشكل الكافي. سئل ل. ج. كالفي (أستاذ اللسانيات الاجتماعية بالسّوربون) عن أنواع اللّغات التي يحتاجها البشر، فرد قائلا: "نحتاج كلّنا إلى ثلاثة أنواع من اللغات، **لغة هويتنا** التي نتكلمها في محيطنا المباشر بين أفراد العائلة أو الأصحاب، و**لغة الدّولة** التي تسمح لنا بدخول معترك الحياة السّياسية والاجتماعية، وأخيرا **لغة التواصل** الدولي. ويمكن لهذه الوظائف الثلاثة أن تتجسد في ثلاث لغات مختلفة أو اثنتين أو واحدة. (...) فالكورسيكي (ساكن كورسيكا بفرنسا) يحتاج إلى اللّغة الكورسيكية والفرنسية والإنجليزية"[51].

إنّنا لو طرحنا سؤالا لتحديد هذه اللغات الثلاثة عندنا لوجدنا اختلافا كبيرا يعود إلى التّداخلات المتعلقة بتعريف اللّغة الأم (التي قد تكون غير العربية في كثير

مـن مناطـق وطننـا العـربي) والعاميـات واللّغـة الفصيحـة[52] وموقـع اللّغـة الأجنبيـة مـن كلّ هـذا؛ وقـد أدّى تداخـل المسـتويات عنـد البعـض إلى رفـع اللّغـة الأجنبيـة مـن وسـيلة للتفتّـح واكتسـاب علـوم العـصر إلى مرتبـة تتجـاوز اللّغـة الوطنيـة. لقـد كان ردّ اللّسـاني الفرنـسي الشـهير كلـود حجـاج عـن سـؤال يتعلـق بإمكانيـة اعتبـار اللّغـة الإنجليزيـة لغـة تتميـز عـن بقيـة اللّغـات لأنّهـا لغـة رسـمية لــ61 دولـة ويتعامـل بهـا 1.8 مليـار نسـمة: "لا، ليـس هنـاك عـلى المسـتوى اللّسـاني البحـت أيّ تميـز للغـة عـلى أخـرى. فمـن وجهـة نظـر أيّ لسـاني محنـك، تعتـبر الإنجليزيـة مـن أصعـب اللّغـات في العـالم. إنّ هيمنتهـا الحاليـة هـي قبـل كل شيء تعبـير عـن التفـوق الاقتصـادي والسـياسي للولايـات المتحـدة وللعـالم الأنجلوفـوني عمومـا. فليـس لهـا إذن مـن النّاحيـة الدّاخليـة (خصائصهـا الصّوتيـة والصّرفيـة والتّركيبيـة) أيّ شيء خـارق، علـما أنّ وصـول عـدد متكلّميهـا إلى 1.8 مليـار يشـمل أيضـا الشـعوب التـي ليسـت الإنجليزيـة لغتهـا الأولى" [53].

إنّ الاسـتفادة مـن آراء المختصّـين في هـذا الميـدان أمـر أكـثر مـن ضروري ولكـن ينبغـي الاسـتفادة أيضـا مـن السّياسـات اللّغويـة التـي تقـوم بهـا بعـض الـدّول سـواء بصفـة فرديـة أو جماعيـة مثـل مـا تقـوم بـه المجموعـة الأوروبيـة. فبالرغـم مـن وجـود أكـثر مـن 20 لغـة رسـمية وحـوالي 60 لغـة محليـة، إضافـة إلى لغـات الجاليـات الأجنبيـة، فـإنّ رؤسـاء دول وحكومـات المجموعـة طالبـوا في اجتـماع برشـلونة (مـارس 2002) بتدريـس لغتـين أجنبيتـين عـلى الأقـل منـذ المراحـل الأولى مـن التّعليـم[54] ؛ لأنّهـم لاحظـوا أنّ وجـود اللّغـة الإنجليزيـة وحدهـا غـير مجـدٍ بـل قـد يشـكّل خطـرا عـلى اللّغـات الوطنيـة وعـلى بقيـة اللّغـات الأجنبيـة. وقـد خصّصـوا أمـوالا طائلـة (30 مليـون يـورو سـنويا) لتكويـن أسـاتذة اللّغـات في الخـارج. كـما أنّنـا نجـد مقابـل هـذا نشـاطا لا نظـير لـه يتعلـق بلغاتهـم الوطنيـة (مـن حيـث تحديـث البرامـج ووضـع القوانـين لتعميمهـا وحمايتهـا)، بـل إنّـه لا توضـع برامـج اللّغـات الأجنبيـة إلاّ بالتنسـيق مـع اللّغـة الوطنيـة والعكـس صحيـح حتـى تكـون اللّغـات في وضـع تكامـلي وليـس تصادميـا يجعـل المتعلـم يميـز بـين وضـع كلّ لغـة عـلى حـدة دون أن يحـدث لديـه أيّ تداخـل في المفاهيـم. ونحـن نعلـم

أنّه قد تولى هذا الأمر بعض الهيآت الدولية مثل اليونسكو التي أصبحت لها كلمتها فيما يتعلق بالسّياسات اللّغوية وقضايا التّعليم في العالم[55]. إنّ فهم اللّغات الأجنبية على أنه الإنجليزية والفرنسية فقط يمثّل خطرا على كيانات الأمة؛ لأننا سوف نحصر أنفسنا في زاوية ضيّقة لا نرى إلاّ من خلالها. وعلى العكس من ذلك، يمكن أن تكون هاتان اللّغتان عامل تفتح على لغات أخرى كالصّينية واليابانية والكورية والروسية، الخ؛ لأن هذا سيجعلنا نصل إلى المعلومة نفسها التي يصل إليها صاحب هاتين اللغتين بأقل التكاليف.

ينبغي التركيز أيضا لإرساء هذه الثقافة على الجانب الفكري، فتعريب الفكر في وضعنا الحالي أهمّ من تعريب اللّغة؛ لأننا «حينما نشتغل على بلورة فكرنا فإننا نشتغل بالضّرورة على حاجة اللّغة للدّقة»[56]، ولن تكون هناك دّقة إلاّ إذا تمكّنا من اللّغة المراد التفكير بها. إنّ هناك مئات المصطلحات وعشرات المعاجم غير مستعملة لأنّه لم يقابل هذا الكمّ الهائل من التّعريب اللّغوي تعريب في الفكر[57]. إنّنا لم نسجل منذ عقود وعقود "تهافتا" على هذه المعاجم من قبل الأطباء والمتخصّصين في مختلف العلوم ذات الطابع التقني. ربما يعود هذا إلى افتقادهم هذه الثقافة وربّما إلى غياب التّنسيق وقلّة وسائل التّواصل.

- توجيه البحوث الأكاديمية نحو دراسة المستويات اللّغوية الأخرى بطريقة تستفيد فيها مما وصلت إليه العلوم اللّسانية الحديثة. لقد حظي المستوى المعجمي (وضع المعاجم/المصطلحات) باهتمام بالغ منذ عقود من الزمن، وعليه ينبغي توجيه الاهتمامات -بصفة عملية- إلى المستويات الأخرى، وتوظيف الدّراسات الصّوتية والصّرفية (التطوّر الصوتي، الاختلافات اللّهجية)، والدّراسات المعجمية (تطور دلالة المفردات، كيفية استغلال المهمل قديما وحديثا)، والدّراسات التركيبية (تطور اللّهجات واختلافها) في خدمة الفصحى. ومن أجل هذا ينبغي النّظر إلى كلّ هذه الظواهر نظرة علمية موضوعية قصد استغلالها في معالجة ما يفلت من أيدينا. فاللّغة لا تنتظرنا حتى نصدر أحكامنا ونقترح حلولنا. فهي تتطور بحكم

عوامل داخلية وخارجية عدّة يصعب التحكم فيها. ولن يتحقق هذا إلاّ إذا اقتنعنا وعملنا على "إخراج" موضوع التّعريب من "احتكار" و"وصاية" المتخصّصين في اللّغة العربية وحدهم، رغم الدّور الخطير والأساس الذي يقومون به، إلى كلّ المعنيين في العلوم الاجتماعية والاقتصادية والسّياسية والطبيّة والتقنية؛ لأن بقاء الموضوع بين أيدي نفس الأشخاص أكسبه نوعا من الملل والرّكود والتّكرار وأحاطه بسياج حَال دون مساهمة المختصين الآخرين بصفة فاعلة، وهذا قد يبعث فيهم الإحساس بأنهم غير معنيين. ناهيك عن أن التعريب لم يعد عند البعض قضية قومية وإنما وسيلة لتحقيق أغراض ذاتية ضيّقة.

- إعادة قراءة التراث، كلّ التراث، قراءة واعية لأنه تراث يشهد العدو قبل الصديق بثرائه وضخامته وتنوعه. إنّ نسبة مهمّة من مشاكلنا تعود إلى "الفجوة" الموجودة بيننا وبين تراثنا. فنحن نقرؤه إمّا بعيون القدامى فنكون إذن قد كرّرنا ما قالوا وفي الوقت نفسه ابتعدنا عن زماننا؛ فهم وضعوا المناهج التي تخدم ثقافة عصرهم ومتطلباته وما يسدّ حاجتهم في فهم النصوص المختلفة وتفسيرها؛ وإمّا نقرؤه بعيون المحدثين قراءة مجرّدة من كلّ خلفية فكرية فنكون حينها قد فكرنا نفس تفكير أيّ أمة بعيدة عنا، أي إنه تفكير من دون روح، يحرم الأجيال من التّواصل مع ماضيها وبالتّالي فقدان هويتها المتمثلة في الدّين واللّغة والوطن. وربما يمكن تفسير ما يحدث عندنا اليوم من سلوكات تجاه اللّغة والدين بأنّه تعبير عمّا نعيشه من فوضى على مستوى الفكر ومن فشل في قدرتنا على التّوفيق بين الماضي والحاضر، بين ما يعرف بالتراث أو الأصالة والمعاصرة. لقد داهمتنا القضايا السّياسية والاقتصادية فدخلنا دوامتها مبهورين من دون سلاح فاختلطت علينا المفاهيم وأصبح الفكر وقضاياه يسير بآليات غريبة زادت أمورَه تعقيدًا.

- إعادة النظر في كيفية التعامل مع وسائل الإعلام بناء على ما سبق أن أشرنا إليه، وذلك من خلال إعطاء الفرصة للمختصين في مختلف المجالات -خصوصا رجال الإعلام- في إطار إستراتيجية يتم الاتفاق عليها مسبقا[58]. إنّ جعل الإعلام معنيا

بشكل مباشر ومتبنيا التعريب كقضية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالهوية وبالمستقبل سوف يخدم التّعريب في مختلف مجالات الحياة. وهنا أيضا يمكن الاستفادة من تجارب بعض الدول في كيفية تعامل مؤسساتها وهيآتها العلمية والسّياسية مع وسائل الإعلام.

- استغلال الوضع السّياسي العالمي الراهن من حيث اهتمامه بالإسلام واللّغة العربية في إطار ما يعرف بحوار، أو صدام، الحضارات. فكثير من الأجهزة العالمية الآن تخصّص جزءا من نشاطها لمعرفة ما كتب ويُكتب بهذه اللّغة، وما يدور بين الناطقين بها[59].

- العمل على الإسراع في تحقيق المشروعين الكبيرين الطّموحين اللّذين لا يزالان يشغلان بال العلماء والمختصين، ألا وهما "المعجم التاريخي" و"الذخيرة اللغوية". إننا متأكّدون من أنّ إنجازهما سوف يكون من أكبر الخدمات التي تقدم للغة العربية. إن هذين المشروعين متكاملان بل ربما يتوقف إنجاز الأول على إنجاز الثاني.

إنّ "المعجم التاريخي" حلم راود الكثيرين، عربا ومستشرقين، منذ 1932 وهو لم ير النور بعد؛ وقد خُصص له مجمع القاهرة دورته الثانية والسّبعين المنعقدة في 2005/03/20، وأسّست له لجان يترأسها باحثون أكفّاء. ويبدو أنه سوف يرى النور من جديد **مع مؤسّسة معجم الدّوحة التّاريخي للّغة العربية**[60] التي تعلق عليها آمال كبيرة بسبب ما توافر لها من علماء مختصين ومن وسائل العمل.

وأمّا مشروع "الذّخيرة اللّغوية" فهو مشروع ضخم تبنته الجامعة العربية منذ سنوات، وأصبح له تمثيل رسمي في كلّ البلدان العربية[61]. وهو يهدف إلى توفير التراث العربي المكتوب كلّه من دون استثناء على الشبكة العالمية (الأنترنيت) حتى يتسنى للباحثين الاطلاع على ما استعمل فعليا من ألفاظ وأساليب منذ أول مؤلف إلى يومنا هذا، وذلك من حيث اختلافها الشكلي ومن حيث تطورها الدّلالي (سواء كانت الدّلالة حقيقية أو مجازية). إنّ نجاح هذا المشروع هو نجاح للتعريب عموما وحلٌّ لما نعانيه من فراغ بين ما هو نظري وما هو تطبيقي. ففائدته جليلة في

تفعيل قدرة اللّغة العربية على الأداء العلمي لأنه لن يكون أمامنا اللّفظ فقط بل اللّفظ ومختلف السّياقات التي ورد فيها. لقد سبق لهذا النوع من الأعمال أن أثبت نجاعته في كثير من الدّول الأوروبية. ويكفي القول إنّ جزءا من الهيمنة الإنجليزية يعود الفضل فيه إلى هذه الذخيرة -قديمها وحديثها- التي يستعملها المختصون سنويا لتحسين برامج تعليمها وللتغلّب على ما يطرح من عوائق تحول دون انتشارها في العالم كله.

هناك مقترحات أخرى كثيرة مهمّة ذكرها المهتمون بالتعريب، سواء في التّعليم أو في غيره، وهي مبثوثة في الكتب والمقالات المنشورة في المجلاّت المتخصّصة، أغلبها ذو طابع تقني يتكرّر الكثير منها منذ عقود من الزمن؛ فتحقيقها، على الرغم من الأهمية، مرهون، في رأينا، بالأمور السالفة الذكر.

إنّ تحقيق هذه المقترحات في حاجة إلى خطاب علمي موضوعي وإلى شروط محدّدة؛ لأنّ هذه القدرة التي نتكلم عنها "ليس مناطها المعرفة العلمية وحدها، ولكن المناخ العلمي الذي يستدعي عددا من الظروف المواتية لتملك القدرة الذّاتية، وهي ظروف متعدّدة الجوانب، منها ما هو سياسي ومنها ما هو تشريعي، وما هو تنظيمي، وما هو اجتماعي، وما هو مالي، وما هو في الأساس علمي"[62].

الإحـالات

1- تنظـر وثيقـة اليونسـكو "اتفاقيـة بشـأن حمايـة الـتراث الثقـافي غـير المـادي" المؤرخـة في (2003/10/17).

2- ينظر مازن المبارك. اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي، ص 5 وما بعدها.

3- ينظر محمود فوزي المناوي، أزمة التعريب، ص 29.

4- لا نبالـغ إذا قلنـا إن الـكلام عـن خصائـص اللغـة العربيـة أصبـح مـن الموضوعـات المسـتهجنة لمـا فيـه مـن بـكاء وانهزاميـة ورومانسـية بسـبب وضعنـا المـزري كعـالم عـربي لا يملـك القـرار في مجـالات وقضايـا كثـيرة.

5- لقـد كان ربـط اللغـة بالإبـداع مـن أهـم النقـاط التـي أثارتهـا نظريـة تشومسـكي اللسـانية كـرد فعـل عـلى المناهـج التـي تعتمـد المدونـة وسـيلة لوصـف اللغـة وتحليلهـا.

6- هـذا طبعـا حينـما نقارنهـا بمثيلاتهـا التـي بـادت كليـا أو جزئيـا، مثـل اليونانيـة القديمـة واللاتينيـة؛ غـير أن هـذا لا يعنـي أن لهجاتهـا لم تتطـور أو أن بعدهـا الفصيـح لم يتأثـر و"يتراجـع". ولهـذا طبعـا أسـباب كثـيرة مـن أهمهـا كونهـا لغـة القـرآن ومـا نتـج عنـه مـن تـراث متنـوع، دينـي وثقـافي لا يـزال يلازمهـا لاعتبـارات دينيـة وسياسـية وقوميـة تخـص الوضعيـة الخاصـة للعـالم العـربي ومـا يعيشـه مـن شـتات وضبابيـة في سياسـته اللغويـة.

7- هذا لا يعني أن كونها لغة رسمية هي لغة الإدارة والعلم؛ فهي في كثير من الأحيان محدودة.

8- لقـد تـم التعريـب الـكلي مـع نهايـة السـبعينيات في الجزائـر والمغـرب، بينـما لم يتجـاوز مسـتوى تعريـب العلـوم الدقيقـة والبيولوجيـة الـ 40%.

ينظـر فيـما يخـص مراحـل التعريـب في الجامعـة الجزائريـة: "وثيقـة عمـل لجنـة التعريـب" المقدّمـة للنّـدوة الثانيـة حـول التّعليـم العـالي. ديـوان المطبوعـات الجامعيـة. الجزائـر 1987.

9- ينظـر: مقـال محمـود فهمـي حجـازي، اللغـة العربيـة في عـصر تقنيـات المعلومـات، مجلـة مجمـع القاهـرة، القسـم الأول، 2000/1421، ص 158.

10- اقـترح إنشـاء هـذا المركـز في النـدوة الأولى لـوزراء التّعليـم العـالي العـرب بالجزائـر العاصمـة سـنة 1981. ولم يبـدأ العمـل فعليـا إلاّ بعـد حـوالي عـشر سـنوات؟؟.

11- كان من المفترض افتتاحه في سبتمبر 1987. ونلاحظ أنه انتظر ما يقارب العشرين سنة. تنظر : "وثيقة عمل لجنة التعريب" السابقة الذكر. ولكن يبدو أنه في حاجة إلى دعم أكثر حتى يفرض نفسه إعلاميا وعلميا؛ لأننا لاحظنا أنه غير معروف في أغلب الدول العربية، على الرغم مما يقوم به من ندوات ومؤتمرات.

12- خص التعريب بمؤتمرات كثيرة: الرباط (1961)، الجزائر (1973)، طرابلس (1977)، طنجة (1981)، عمان (1985)، الرباط (1988 و1994 و1997). يضاف إلى هذا المؤتمرات التي خص بها وزراء التربية والتعليم العرب التعريب، وكذا ما تقوم به الجامعات سواء لبحث موضوع معين أو لتقديم معاجم علمية جديدة.

13- ينظر على سبيل المثال مقال عبد العلي الودغيري المفرط في التفاؤل "وضع اللغة العربية في عصر العولمة وتحدياتها". جاء فيه: "الآنَ، إذا رجعنا إلى سؤالنا الأساسي: هل العربيةُ في أزمة؟ واحتَكَمنا إلى جملة من هذه المعايير والمؤشِّرات التي أشرنا إليها، وركَّزنا بصفة خاصة على المقاييس والمعايير الكَمِّية، لتشخيص حالتها في مرحلتنا الراهنة، لوجدنا أن أغلبها -أو الأهمَّ منها على الأقل- يُظهر بكل جلاءٍ أن العربية في حَيوية ونشاطٍ ملحوظين: الدماءُ تجري في عروقها بشكل عاديٍّ، ونَبْضُها طبيعي، وسُحنَتُها لا تُنبئُ بما هو خطيرٌ، وكذا مُجملُ "الكُشُوف" و"الصُّور" الخارجية، لا تدل على وجود عِلة قاتِلة. إنها ـ بصفة إجمالية ـ في صحة وعافية، ولاسيما عند مقارنتها مع آلاف اللغات الأخرى".

14- وثيقة اليونسكو "من مجتمع المعلومات إلى مجتمعات المعرفة"، ص 167.

15- ينظر محمد رشاد الحمزاوي. العربية وتحديات العلوم العصرية في ميدان التعريب.

16- تنظر الأهداف الستة في الوثيقة المذكورة، وهي: تطوير وتحسين حماية وتربية الطفولة المبكرة بكل جوانبها... والعمل على أن يستفيد الأطفال من تعليم ابتدائي جيد ... والاستجابة للحاجات لكل الصغار والكبار لاكتساب معلومات ومهارات... وتحسين مستوى محو الأمية للكبار ... وإزالة الفوارق بين الجنسين في التعليم... وتحسين نوعية التعليم من كل جوانبه...

17- Khelfaoui, H. Algerie: le rapport savoir pouvoir. p. 28.

18- ينظر المقال: "نقابة الأطباء ودورها في تعزيز استخدام اللغة العربية السليمة الفصيحة"، كتاب الموسم الثقافي الثلاثون لمجمع اللغة العربية الأردني بعنوان "سبل النهوض باللغة العربية"، 2012/11 ص 354.

19- مازن المبارك، اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي، ص 21.

20- ينظر محمد المنجي الصيادي، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، ص 43.

21- محمود حافظ (نائب رئيس مجمع القاهرة)، قضية التعريب في مصر.

ينظر أيضا : محمود فهمي حجازي، اللغة العربية في عصر تقنيات المعلومات.

22- ينظر مقال الحمزاوي، العربية وتحديات العلوم العصرية في ميدان التعريب.

23- المرجع نفسه.

24- ينظر عبد الملك مرتاض، "العربُ ولغتُهم: وجهًا لوجه!"، يحتوي المقال على مقترحات مهمة في النحو والمعجم والمصطلح.

25- ينظر عبد الرحمن الحاج صالح، اللغة العربية والبحث العلمي المعاصر، ص 125 وما بعدها.

26- عبد الله واثق شهيد، السياسات العربية تجاه اللغة العربية في عصر العولمة.

27- ينظر أحمد مطلوب، بحوث لغوية، ص 27 وما يليها.

وأيضا صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، من الفصل السابع إلى الفصل العاشر.

28- ينظر على سبيل المثال: عبد العالي سالم مكرم، التعريب في التراث اللغوي مقاييسه وعلاماته، يقول في الصفحة 7: "وكيف تمد اللغة العربية يدها القوية إلى كلمات أعجمية، وهي اللغة الواسعة التي لا يمكن لأحد أن يسبر غورها، أو يستوعب تراكيبها، أو يحيط علما بألفاظها؟". ويقول في الصفحة 8: "وما لي أذهب بعيدا، وهذا شيخ العلماء أبو عمرو بن العلاء يقول فيما يحكيه يونس عنه "ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير".

وينظر أيضا، كارم السيد غنيم، اللغة العربية والصّحوة العلمية الحديثة، من الصفحة 15 إلى 69.

29- Da SILVA. J. M, la nouvelle trahison des intellectuels, In Hermès 40, 2004.

30- تنظر الدراسة المتميزة "العربية وهوية الأمة في مؤسسات التعليم العالي في دولة الإمارات العربية المتحدة"، التي أعدتها لطيفة إبراهيم النجار حول العربية في دولة الإمارات. وقد خلصت إلى بعض النتائج (ص 173 و174) نورد منها ما يأتي (علما أنه يمكن تعميم ما جاء في الدراسة على بقية الأقطار العربية): "هناك توجّه واضح نحو إعطاء اللّغة الإنجليزيّة مساحة أكبر من اللّغة العربيّة في التّعليم العامّ الحكومي، خاصّة بعد ظهور ما يسمّى بمدارس الشّراكة

في أبوظبي، ومدارس الغدّ في الإمارات كلّها. إذ يبدأ تدريس اللّغة الإنجليزيّة كلغة ثانية من مرحلة رياض الأطفال، كما أنّها لغة التّدريس المعتمدة في الموادّ العلميّة كالعلوم والرّياضيّات من الصّفّ الأوّل الأساسيّ. (...) (ص 177)". إنّ اللّغة العربيّة في مجتمع الإمارات تعاني من إقصاء واضح في معظم مجالات الحياة، وتواجه صدًّا من أبنائها في مجتمع ينفتح انفتاحًا عظيمًا على الثّقافات الأجنبيّة المختلفة، ويتّجه بسرعة نحو الاستجابة لمتطلّبات النّظام الاقتصاديّ الجديد، فيجعل سوق العمل فيه مؤسّس على اللّغة الإنجليزيّة بالدّرجة الأولى. أما المشفقون عليها المتمسّكون بها فإنّهم يقفون شبه عاجزين أمام ما تحظى به اللّغة الإنجليزيّة من احتفاء على جميع المستويات.

31- يرى شوقي ضيف مثلا أن سبب انحدار اللّغة العربية في المؤسّسات التّعليمية يعود إلى تدريس المواد العلمية بغير اللغة العربية. تنظر جريدة الأهرام الصادرة يوم 1999/07/10. ويمكن أن نشير هنا إلى أن هناك من يدعو الآن إلى عودة تدريس المواد الاجتماعية باللّغة الأجنبية على أساس أن مستوى الطلبة ازداد انحدارا وأنّ الأستاذ أضحى محدود النظرة أي محدود الإبداع. فعلى الرّغم من الموضوعية والواقعية التي تشوب بعض نقاط هذا الطّرح إلاّ أنّنا لاحظنا من خلال متابعتنا للمناقشات التي دارت في مختلف جلسات "اللّجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية الجزائرية" (أنشئت هذه اللّجنة في 1999 بمرسوم رئاسي للنّظر في قضايا التّربية والتّعليم في الجزائر) التي كنا عضوا فيها أنها، لدى الكثيرين، "كلمة حق أريد بها باطل". فالقصد لم يكن تحسين أداء اللّغة العربية في هذه العلوم بقدر ما كان محاولة لإيجاد مدخل لعودة اللّغة الفرنسية. وهذا الطّرح المقصي للّغة العربية موجود في أغلب الدول العربية إن لم يكن كلّها. ولكن يمكن القول بكل صراحة وموضوعية إنّ تدريس المواد العلمية بالعربية في التّعليم ماقبل الجامعي وتدريسها باللّغات الأجنبية في الجامعة لا يُعدّ حلاّ ولا يخدم اللغة العربية، بل ربما هو سبب من أسباب انتكاساتها. وعليه فإنه يفترض إعادة النظر سواء بـ "توفير" اللّغات الأجنبية للجميع، أو تدريس هذه المواد باللغتين حتى تتاح الفرص للجميع. ولا يخفى ما نتج عن هذا الوضع من لاتوازن في المجتمع؛ فأبناء طبقات معينة فقط استفادوا من تكوين علمي (أطباء) وتكنولوجي (مهندسين)، وبقيت التخصّصات الإنسانية والاجتماعية، على الرّغم من أهميتها وخطورتها، لأبناء "الفقراء" والأرياف.

32- وهذا على الرّغم من وجود قناعة لدى الكثيرين من المدافعين عن الفرنسية بعدم جدوى الاعتماد على هذه اللغة في مجال البحث العلمي، ومواكبة التطورات الحديثة. ولذلك تجدهم "يحاربون" الإنجليزية حتى لا تحتلّ مواقع الفرنسية لأنّ فيها مصالحهم، علما أنّ الاهتمام

بالإنجليزية لا يعني عند ذوي بعد النّظر إقصاء أو إلغاء الفرنسية لأنّها مهمّة وضرورية في أمور كثيرة تتعلّق بالتّاريخ والسّياسة والمجتمع والعلاقات بين هذه الشعوب ودولها وبين فرنسا.

33- يلاحظ الودغيري (ص 14): "وفي المغرب الأقصى نجد أيضاً حالةً لغوية شاذة. ذلك أنّه رغم كون الفرنسية من النّاحية القانونية ليست لغةً رسمية ولا وطنية، إلاّ أنها في الواقع العملي تحتل مكانةً أعلى مرتبةً من اللغتين الوطنيتين الرسميتين: العربية والأمازيغية، في التعليم والإدارة والاقتصاد والتجارة وأغلب المجالات الحيوية". تصدق هذه العبارة على العالم العربي كلّه وليس على المغرب الأقصى فقط.

34- إننا نرى أنه يصدق على هذا رأي كالفي من حيث «وجود لغة واحدة مركزية رئيسية محورية (hypercentrale) وهي الإنجليزية، تحيط بها مجموعة من اللغات المركزية الفرعية (supercentrales) التي هي بدورها أيضا محور لمئة أو مئتي لغة مركزية (centrales) تحيط بها هي أيضا خمسة أو ستة آلاف لغة جانبية) périphériques) وهذا هو الوجه اللغوي للعولمة». ينظر:

L'avenir linguistique de la planète, in Libération du 1/9/2000.

35- Dominique Wolton هو مدير أبحاث بالمركز الوطني للبحث العلمي الفرنسي الشهير (CNRS)، ومؤسس المجلة الدولية المعروفة HERMES ومديرها.

36- ينظر المقال:

Philippe Testard-Vaillant, La mondialisation autrement, in Le Journal du CNRS, N° 200, sept 2006.

37- تنظر المحاضرة التي ألقاها أ. صالون في افتتاح معهد الفرنكوفونية

"la question de la langue française" بجامعة ليون3 في فيفري 2001. وقد أثار كلود أليقر، وزير التربية الفرنسي من قبل (1997)، ردود فعل قوية بسبب تصريحاته المستفزة من قبيل "الإنجليزية ليست لغة أجنبية في فرنسا"، و"أصبحت اللغة الإنجليزية ضرورة، مثلها مثل الحاسوب المنزلي والإنترنيت». تنظر جريدة "الفيغارو" (1997/12/4). وتنظر الردود عليه في مجلة حماية اللغة الفرنسية ونشرها ASSELAF في 1998/01، وفي يومية Québec français, n° 114, 1999, p. 1

38- وينظر حوار برنار كاسان تحت عنوان:

"La francophonie et les enjeux culturels de la mondialisation".

ومقاله:

"la langue-dollar, in Le monde diplomatique, mai 2000, p. 32".

39- قانـون "توبـون" لحمايـة اللّغـة الفرنسـية رقـم 94-665 الصّـادر في 1994/08/04، وكذلـك أمريـة 1996/03/19 المتعلقـة بتطبيقـه، بحيـث تلـزم الحكومـة بتقديـم تقريـر للبرلمـان حـول تطبيـق هـذا القانـون في الـ 15 سـبتمبر مـن كلّ سـنة. لقـد سـمح هـذا القانـون للجمعيـات والمديريـات المعنيـة بالمتابعـة برفـع تقاريرهـا إلى وكلاء الجمهوريـة لاتخـاذ الإجـراءات اللازمـة في حـق المخالفـين. نجـح هـذا القانـون عـلى المسـتوى المحـلّي ولكنـه كان قليـل الفاعليـة عـلى المسـتوى الـدولي نظـرا لتغلغـل الإنجليزيـة في كلّ مـا يتعلـق بالبحـث العلمـي وبالملتقيـات والنـدوات العلميـة، الـخ.

40- تنظر المجلة الفرنسية المعروفة:

Paris-Match, numéro 2799 du 9/1/2003.

41- تنظـر نتائـج الاسـتفتاء الـذي قـام بـه مكتـب تنسـيق التّعريـب بالرّبـاط سـنة 1966، إذ ظهـر أنّ مـن العوائـق التـي تحـول دون تعريـب ناجـح وشـامل "عـدم وجـود المراجـع، تخلـف المسـتوى العلمـي، إغفـال نـشر العربيـة في العـالم، عـدم وجـود الكتـاب المـدرسي المعـرّب، عائـق اللّهجـات، ضعـف طـرق التّعليـم، عـدم توفـر المصطلـح...". ينظـر محمـد المنجـي الصّيـادي، التّعريب وتنسـيقه في الوطـن العـربي، ص 27.

نلاحـظ أنـه كان لهـذا الاسـتفتاء دور إيجـابي بحيـث تـم التغلـب ولـو جزئيـا عـلى البعـض مـن هـذه العوائـق.

42- ينظـر مقالنـا (مخطـوط) : "التعريـب والهويـة: تجربـة الجزائـر" وهـو عبـارة عـن محـاضرة ألقيـت في المؤتمـر السّـنوي التّاسـع لتعريـب العلـوم بجامعـة عـين شـمس بالقاهـرة في 12 و13 مـارس 2003.

ينظـر أيضـا "العربيـة في وسـائل التّواصـل الاجتماعـي الحديثـة: واقعهـا وسـبل النهـوض بهـا دراسـة بحثيـة"، وهـي دراسـة ميدانيـة دقيقـة أعدّهـا مجموعـة باحثـين ظهـرت في «كتـاب الموسـم الثقـافي الثلاثـين لمجمـع اللغـة العربيـة الأردني بعنـوان "سـبل النّهـوض باللّغـة العربيـة" في 2012/11/20. تتميـز الدّراسـة بالإحصائيـات الكثـيرة والمتنوعـة، وقـد بينـت أهميـة الفصحـى في الاسـتعمال ولكـن أيضـا زحـف العاميـة وكـذا دور اللغتـين الأجنبيتـين الإنجليزيـة والعبريـة. كـما قدمـت مقترحـات مهمّـة للنّهـوض باللّغـة العربيـة الفصحـى.

43- ينظر عبد العلي الودغيري. وضع اللّغة العربية والعولمة. ص 26.

44- Mohammed Serhoual. Arabisation, mondialisation et langue amazighe.

45- ينظر مقالا حسين خلفاوي:

"Algérie: le rapport savoir-pouvoir… " et " Le processus de Bologne en Afrique..".

46- كمال يوسف الحاج، فلسفة اللغة، ص 311.

47- عبد العلي الودغيري، وضع اللّغة العربية، ص 26.

48- ينظر عبد الله العروي، ثقافتنا في ضوء التاريخ، ص 314.

وأيضا محمود أحمد السيد، إشكالية تعريب التعليم العالي، ص 4.

49- C. Hagege. Enjeux du 11/05/2002.

50- إن الاعتراف بالشعوب وثقافاتها أصبح مطلبا أمميا (وما أكثر المطالب في إطار ما يعرف الآن بالعولمة)؛ فقد صرح المدير العام لليونسكو في اليوم العالمي للغة الأم يوم 2002/2/21: "ينبغي العمل اليوم على فهم الشعوب الأخرى والاعتراف بها وبثقافاتها وذلك باحترام لغاتها وأنماط التفكير المعبر عنها بهذه اللغات".

51- Louis-Jean Calvet. L'avenir linguistique de la planète, in Libération du 1/9/2000.

تنظر أيضا الوثيقة: "pour un modèle européen d'enseignement supérieur" التي أعدّها الخبير الفرنسي المعروف J. Attali جاء في ص 23: "تتطلب أغلب المهن الاستعمال الجيد للإعلام الآلي وكل التكنولوجيات ذات العلاقة -من الأنترنيت إلى عالم الافتراض- وكذا التحكم التام في ثلاث لغات منها اللغة الأم، وأيضا معرفة جيدة بما يجري في العالم".

52- يرى الحاج صالح أن الكثير من العلماء والمثقفين لم يتفطنوا إلى وجود قسط كبير من المفردات الفصيحة في هذه العاميات لو يستغل لحلّ الكثير من المشكلات، ف "قد رسخ في أذهان المعلّمين أن اللّغة العربية ليس لها إلاّ كيفية واحدة في التعبير بها وهو المستوى الذي سميناه بالإجلالي أو الترتيلي". ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، اللغة العربية والبحث العلمي المعاصر، ص 133.

53- في حوار معه بمجلة "Enjeux" الصادرة في 2002/05/11. علما أن ك. حجاج أستاذ بالسوربون ومعروف عليه معرفته للغات وتعامله في أبحاثه بالعشرات منها.

54- وهذا ما يؤكده المختصون مثل ك. حجاج الذي يرى أنه يجب تدريس لغتين أجنبيتين في بداية المرحلة الابتدائية. ينظر حواره السابق الذكر. وتنظر أيضا وثيقة اليونسكو: "من مجتمع المعلومات إلى مجتمعات المعرفة"، ص 84.

55- ينظر على سبيل المثال: "التقرير العالمي لليونسكو 2005" خاصة الفصل المتعلق بمستقبل التعليم.

56- اليونسكو، الفلسفة مدرسة للحرية»، ص 15.

57- ينظر مازن المبارك، اللغة العربية، ص 51.

وأيضا كمال بشر تعريب اللغة والفكر، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، المجلد 78، نوفمبر 1995.

58- هناك ملاحظات قيمة يذكرها محمد المنجي الصيادي في "التعريب وتنسيقه" من الصفحة 421 إلى 429.

59- لم يستثمر أهل العربية أحداث 11 سبتمبر 2001 التي جعلت أمريكا تهتم باللغة العربية والدين الإسلامي.

60- ينظر موقع المؤسسة: http://www.dohadictionary.org/

61- قدم الحاج صالح مشروعه منذ نهاية الثمانينيات إلى المجامع العربية الكبرى، ورحب به اتحاد المجامع العربية في 1998، وقد تبناه المجلس الوزاري بجامعة الدول العربية في 2004/09/14. ينظر مقال الحاج صالح «مشروع الذخيرة..."، في بحوث ودراسات الجزء 1، ص 395.

62- ينظر محمود أحمد السيد. إشكالية تعريب التعليم العالي، ص 1.

وأيضا محي الدين صابر. قضايا الثقافة العربية المعاصرة، ص 87.

المراجع

باللغة العربية

- أحمد مطلوب. بحوث لغوية، دار الفكر، عمان الأردن، 1987.

- الحاج صالح عبد الرحمن. اللغة العربية والبحث العلمي المعاصر. ألقي البحث في ندوة "اللغة العربية إلى أين؟" الرباط، 2002. نشر في "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، الجزء 2. منشورات المجمع الجزائري للغة العربية. الجزائر، 2007.

- الحاج صالح عبد الرحمن. مشروع الذخيرة اللغوية في "بحوث ودراسات" الجزء 2.

- الحمزاوي محمد رشاد. العربية وتحديات العلوم العصرية في ميدان التعريب. ألقي البحث في ندوة "اللغة العربية إلى أين؟" الرباط، 2002.

http://uqu.edu.sa/page/ar/148362.

- سُرى سبع العيش. نقابة الأطباء ودورها في تعزيز استخدام اللغة العربية السليمة الفصيحة. بحث منشور ضمن أعمال الموسم الثقافي الثلاثين لمجمع اللغة العربية الأردني في 2012/11:

http://www.majma.org.jo/majma/index.php/2008-12-18-12-52-55/2008-12-18-12-53-43.html.

- شوقي ضيف. جريدة الأهرام الصادرة يوم 1999/07/10.

- صبحي الصالح. دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت 1997.

- الصيادي محمد المنجي. التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1984.

- عبد العالي سالم مكرم. التعريب في التراث اللغوي مقاييسه وعلاماته، منشورات ذات السلاسل، الكويت 1989.

- عبد الله واثق شهيد. السياسات العربية تجاه اللغة العربية في عصر العولمة.

بحث منشور ضمن أعمال الموسم الثقافي السادس والعشرين لمجمع اللغة العربية الأردني. سنة 2008.

(http://www.majma.org.jo/majma/index.php/2009-02-10-09-35-28/202-26-1.html).

- العروي عبد الله. ثقافتنا في ضوء التاريخ، المركز الثقافي العربي، بيروت 1988.

- العناتي وليد وآخرون. "العربية في وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة: واقعها وسبل النهوض بها دراسة بحثية". بحث منشور ضمن أعمال الموسم الثقافي الثلاثين لمجمع اللغة العربية الأردني. سنة 2012.

http://www.majma.org.jo/majma/index.php/2008-12-18-12-52-55/2008-12-18-12-53-43.html.

- كارم السيد غنيم. اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة، مكتبة ابن سينا، القاهرة 1990.

- كمال بشر. تعريب اللغة والفكر، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، المجلد 78، نوفمبر 1995.

- كمال يوسف الحاج. فلسفة اللغة، دار النهار، بيروت 1967.

- لطيفة إبراهيم النجار. العربيّة وهُويّة الأمّة في مؤسّسات التّعليم العامّ والعالي في دولة الإمارات العربيّة المتّحدة. بحث منشور ضمن أعمال الموسم الثقافي السادس والعشرين لمجمع اللغة العربية الأردني. سنة 2008. (وهو متوفر في موقع المجمع الأردني):

http://www.majma.org.jo/majma/index.php/2009-02-10-09-35-28/202-26-1.html.

- مازن المبارك. اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي، مؤسسة الرسالة، دار النفائس، 1985.

- محمود أحمد السيد. إشكالية تعريب التعليم العالي. منشورات وزارة التعليم

العـالي والبحـث العلمـي. الجزائـر.

- محمـود حافـظ. قضيـة التعريـب في مـصر. مجلـة مجمـع اللغـة العربيـة. القاهـرة، 1997.

- محمـود فهمـي حجـازي. اللغـة العربيـة في عـصر تقنيـات المعلومـات. مجلـة مجمـع القاهـرة، القسـم1، 2000/1421.

- محمـود فـوزي المنـاوي. أزمـة التعريـب، مركـز الأهـرام للترجمـة والنـشر، القاهـرة 2003.

- محيـي الديـن صابـر. قضايـا الثقافـة العربيـة المعـاصرة، الـدار العربيـة للكتـاب، تونـس 1982.

- مرتـاض عبـد الملـك. العـرب ولغتهـم : وجهـا لوجـه!. ألقـي البحـث في المؤتمـر الثـاني للمجلـس الـدولي للغـة العربيـة، 2008.

ينظر: (http://www.alarabiah.org/index.php?op=view_all_studies&id=19)

- الحـواس مسـعودي. التعريـب والهويـة: تجربـة الجزائـر. محـاضرة ألقيـت في المؤتمـر السـنوي التاسـع لتعريـب العلـوم بجامعـة عـين شـمس بالقاهـرة في 12 و13 مـارس 2003. (مخطوطـة).

- الودغـيري عبـد العـلي. وضـع اللغـة العربيـة في عـصر العولمـة وتحدّياتهـا.. بحـث منشـور ضمـن أعـمال الموسـم الثقـافي التاسـع والعشريـن لمجمـع اللغـة العربيـة الأردني. سـنة 2011. (وهـو متوفـر في موقـع المجمـع الأردني):
(http://www.majma.org.jo/majma/index.php/2009-02-10-09-35-28/468-2012-04-23-07-41-07.html).

- مؤسسة معجم الدوحة التاريخي للغة العربية:
http://www.dohadictionary.org.

- "وثيقـة عمـل لجنـة التعريـب" المقدمـة للنـدوة الثانيـة حـول التعليـم العـالي. ديـوان

المطبوعـات الجامعيـة. الجزائـر 1987.

- اليونسكو. "التقرير العالمي 2005":

http://www.unesco.org/new/ar/education/themes/leading-the-international-agenda/efareport/reports/2005-quality/.

- اليونسكو. الفلسفة مدرسة للحرية:

http://unesdoc.unesco.org/images/0015/001541/154173a.pdf.

- اليونسكو "من مجتمع المعلومات إلى مجتمعات المعرفة":

http://unesdoc.unesco.org/images/0014/001418/141843a.pdf.

- تصريح المدير العام لليونسكو في اليوم العالمي للغة الأم يوم 2002/2/21:

http://www.unesco.org/education/imld_2002/dg_message.shtml.

باللغة الأجنبية

- Attali, J. Pour un modèle européen d'enseignement supérieur. Ministère de l'éducation nationale, de la recherche et de la technologie, France, 1998.

- Calvet, L. J. La diversité linguistique: enjeux pour la francophonie. In Hermès 40, 2004.

- Calvet, L. J. L'avenir linguistique de la planète. In Libération du 1/9/2000.

- Cassen, Bernard. La francophonie et les enjeux culturels de la mondialisation. Soirée-débat du 22 mars 2000. Voir :

(http ://www.cerclegramsci.org/archives/cassen2.htm).

- Cassen, Bernard. la langue-dollar. In Le monde diplomatique, mai 2000, p. 32. Voir : (http://www.monde-diplomatique.fr/2000/05/CASSEN/13725).

- Da Silva, Juremir Machado. La nouvelle trahison des intellectuels. Le terrorisme de l'anglais comme langue de la science. In Hermès 40, 2004.

- Hagege, C. Nous laissons l'anglais dominer, par fatalisme ou servilité. In : Enjeux du11/05/2002.

- Khelfaoui, H. Algerie: Le rapport savoir-pouvoir ou le rêve avorté de la differenciation par le savoir. JHEA/RESA, vol.8, num.2, 2010.

-___, Le processus de Bologne en Afrique : globalisation ou retour à la "situation coloniale" ?. JHEA/RESA, vol.7, 2009.

- Philippe Testard-Vaillant. La mondialisation autrement, in Le Journal du CNRS, N200, sept 2006.

- Salon, A. la question de la langue française. Université Lyon3, fevrier 2001.

- Serhoual, Mohammed. Arabisation, mondialisation et langue amazighe. 2002. (http://tawiza.x10.mx/Tawiza64/Arabisation.htm).

- ASSELAF de 1/1998.

- Le Figaro du 04/12/1997.

- Paris-Match, num. 2799 du 09/01/2003.

- Québec français, n° 114, 1999, p. 1

- Loi Toubon. Loi 94-665 du 4 Août 1994 modifiée relative à l'emploi de la langue française. (http://www.tradethic.fr/docs/files/Loi%20Toubon.pdf?PHPSESSID=4c3cb5ee97cd113cea49b396423afee6).

- Circulaire du 19 mars 1996 prise en application de la loi n° 94-665 du 4 août 1994 relative à l'emploi de la langue française.